

الملاحظات

قرب نهاية عام ١٨٧١م استلم حضرة بهاء الله رسالة من أحد أتباعه الأوفياء في إيران، وهو الحاج سيد علي أكبر الدهجي، ابن أخي السيد مهدي، اسم الله المهدي. فأجاب حضرة بهاء الله على تلك الرسالة بإنزال لوح عرف باسم "لوح قد احترق المخلصون". ... الحاج سيد علي أكبر، الذي نزل في حقه هذا اللوح، مع سيرة موجزة لحياته وخدماته لأمر الله. وتجدر الإشارة إلى أن حضرة بهاء الله أحب هذا المؤمن بدرجة أنه سمى عمّه (عم المتوفى) علي أكبر بعد وفاة الأخير إحياء لذكراه.

يعتبر "لوح الاحتراق" أحد أشهر ألواح حضرة بهاء الله، فهو مشحون بقوى عظيمة وغالباً ما يلجأ المؤمنون لتلاوته عند الشدائد والمعاناة. ويصرح حضرة بهاء الله عن هذا اللوح (في ختامه) بقوله مؤكداً بأن "لويقرئه العباد طراً ويتفكرون فيه ليضرم في كل عرق من عروقهم ناراً يشتعل منها العالمين". نزل "لوح الاحتراق" بالعربية بأسلوب فيه الوزن والقافية، وهو يحرك الوجدان خصوصاً عند تلاوته بهذه اللغة الأصيلة. وقد أنزل في أشد وأحلك فترة من البلايا والآلام التي أحاطت حضرة بهاء الله نتيجة للعداء والخيانة والشور التي اقترفها أولئك النفر القليل ممن سبق لهم أن ادعوا تأييد أمر الله ونصرتة. يكشف حضرة بهاء الله في هذا اللوح عن لوعة قلبه ويسهب في وصف بلاياه.

ذلك لأن ما من شيء يحزن قلب مظهر أمر الله مثل الخيانة والغدر الصادرين من داخل جامعة أحبائه. فالحبس وكل أشكال الاضطهاد من الأعداء الخارجيين لا يمكن أن يؤدي أمر الله. بل الذي يؤديه حقاً هو أفعال بعض المنتسبين لاسمه ممن يعملون ضد مرضاته. فقد قامت تلك الشذمة القليلة من ناقضي عهد حضرة الباب وميثاقه ممن اتبعوا ميرزا يحيى بالتمرد ضد حضرة بهاء الله من الداخل وسبوا البلبله في جامعة المؤمنين وفيما بين أهالي عكاء بحيث أطلق حضرة بهاء الله لقلمه العنان في الندبة في هذا اللوح بنحو لم يسبق له مثل في أي من كتاباته الأخرى.

ولما أنزل هذا اللوح تبين لأتباع حضرة بهاء الله مدى معاناته وشدة كربه على يد أولئك الناقضين الأشرار. فيخاطب حضرته الحاج سيد علي أكبر، الذي نزل اللوح في حقه، بهذه الكلمات: "أن يا علي قبل أكبر أن اشكر الله بهذا اللوح الذي تجد منه راحة مظلوميتي وما أنا فيه في سبيل الله معبود العالمين."

في فقرة موجهة للسيد مهدي الدهجي، آنف الذكر، يصرح حضرة بهاء الله بأنه أنزل "لوح الاحتراق" بحق ابن أخيه ليخلق بداخله مشاعر الفرح والغبطة ويشعل في قلبه نار محبة الله.

لقد أنزل حضرة بهاء الله هذا اللوح بأسلوب خاص عسى أن يتمكن عقل الإنسان، على ما هو عليه من محدودية، من التفكير والتأمل بما تعرض له مظهر أمر الله من عناء وعذاب، وبالوقت نفسه من أن يشاهد لمحة من ذاته الأبهي. ففيه يبدو وكأن شخصه البشري، المتميز عن مظهره الإلهية، هو الذي يعدد بلاياه ويسرد المظالم التي يكيلها إليه أعداؤه. بعد ذلك يأتي صوت الله واستجابة حضرة بهاء الله له. لكن في الحقيقة لا يمكن لحضرة بهاء الله، المظهر الكلي الإلهي، أن ينقسم إلى ذاتين. فطبيعته البشرية وروحه الإلهية مندمجتان وملتحمتان بحيث لا يمكن تصويره في وقت ما باعتباره رجلاً خالياً من الروح الأعظم الذي كان متجلياً دوماً فيه. وعليه لا يمكن قبول الافتراض بأن مظهر أمر الله يفتقر لصفة المظهرية ويكون مجرد إنسان عادي. بل على العكس، فإنه لا يزال دائماً مظهر أمر الله ولو أنه في غالب الأحيان يحجب عظمته ومجده ويبدو كبشر عادي. ولتفهم هذه الوحدة التي لا تتجزأ في ذاتية مظهر أمر الله دعنا نعتبر الإنسان وازدواجية طبيعته. فنلاحظ ولو أن للإنسان طبيعتان، حيوانية وروحانية، إلا أنه إنسان دائماً ولا يمكن أبداً اعتباره في وقت ما بأنه حيوان بحث خال من روح الإنسان أو أنه مجرد بصورة مؤقتة من سجايا وقوى الإنسان. وعلى غرار ذلك لا يمكن افتراض أو قبول انقسام ذاتية مظهر أمر الله إلى جزأين.

من المحتمل أن يكون السبب الرئيس في اختيار حضرة بهاء الله أن ينطق في "لوح الاحتراق" بصوته البشري يعود إلى أنه أراد أن يقدر المؤمنون خطورة الهجمات

التي شنت ضده، ومدى معاناة أصحابه الذين مُنعوا عن التشرف بمحضره. في مطلع اللوح يشير حضرة بهاءالله إلى هذا الفراق الذي فُرض بينه وبين أحبائه ويناجي الله سائلاً رحمته وفرجه ليخفف عنهم:

"قد احترق المخلصون من نار الفراق أين تشعشع أنوار لقائك يا محبوب العالمين. قد ترك المقربون في ظلماء الهجران أين إشراق صبح وصالك يا مقصود العالمين. قد تبلبل أجساد الأصفياء على أرض البعد أين بحر قربك يا جذاب العالمين."

وفي فقرات أخرى يشير حضرة بهاءالله إلى انزاله عن كل أصحابه وكل الناس، عندما يذكر عن نفسه: "ترى مشرق الآيات في سبحات الإشارات"، أو عندما يصرح بأن "قد ركذ بحر العناية"، و"قد غلق باب اللقاء".

يجد المرء في هذا اللوح عبارات تشير بوضوح إلى ما كان يقوم به السيد محمد وأعوانه من أعمال شيطانية. ويشير حضرة بهاءالله إليهم بعبارة "قد قام المشركون بالاعتساف"، ويصف نشاطاتهم بـ"نباح الكلاب" و"وساوس الشيطان"، وأن بأعمالهم "قد خبت مصابيح الصدق والصفاء والغيرة والوفاء"، ويزيد مؤكداً بأن من خلال روحهم الشريرة "قد اصفرّت الأوراق من سموم أرياح النفاق".

يسهب حضرة بهاءالله في هذا اللوح في ذكر مصائبه ومعاناته. فيذكر "الذلة" و"الأحزان" التي أحاطت به ويقول: "قد بقي الوجه في غبار الافتراء"، وأن "قد تكدر ذيل التقديس من أولي التدليس". يتضح من هذه المقتطفات، التي تعصر القلب حزناً، وتشير بجلاء إلى آثار الحملة الواسعة من التشهير والافتراء التي قادها السيد محمد ضد حضرة بهاءالله في المجتمع، بأن في ذلك شهادة ودليل وافر على فظاعة الأذى الذي ألحق بحضرتة.

بعدها أسهب في وصف كروبه ومعاناته، يجيب حضرة بهاءالله، بكونه "لسان العظمة" نفسه بهذه المقتطفات مما أنزله في هذا اللوح:

"قد جعلنا الذلة قميص العزة والبلية طراز هيكلك يا فخر العالمين. ترى القلوب ملئت من البغضاء ولك الإغضاء يا ستار العالمين. إذا رأيت سيفاً أن أقبل إذا طار سهم أن استقبل يا فداء العالمين."

في هذا اللوح يستنزل حضرة بهاءالله غضب الله على أعدائه، بسؤاله "أين غضنفر غياض سطوتك"، و"أين شهاب نارك" و"أين أسياف انتقامك". في حين أن الله ودود وغفور، لكنه من حين لآخر يظهر أيضاً غضبه. إحدى هذه المناسبات هي

عندما يقوم فرد ضد مظهر أمره وهو يعلم بما يفعل ويدرك هوية من يعارض ومقامه .
وبينما يقدر مظهر أمر الله أن يستنزل غضب الله على من يستحق من العباد، لكن العبد
لا حق له بأن يفعل ذلك . ففي هذه الدورة منع حضرة بهاء الله أتباعه من إدانة أحد أو
الحكم عليه .

وفي أحد ألواحه النازلة في عكاء يشير حضرة بهاء الله إلى هذا الموضوع .
يقتبس لذلك الفقرة التالية من "لوح الاحتراق": "قد طالت الأعناق بالنفاق أين
أسياف انتقامك..." ، ويصرح بقوله أنه ولو في ظاهرها تبدو هذه الكلمات مناقضة
لتعاليم الله لهذا العصر إذ فيها دعوة لغضبه وانتقامه، لكن ليس القصد أو المعنى
ترويج النزاع والفساد. بل إن مثل هذه البيانات وردت بقصد تبيان وتأكيد فداحة
الأذى والمعاناة التي سببها نفر قليل من الأشرار. فقد بلغت تجاوزاتهم مدى جعلت
القلم الأعلى يضج وينوح بهذا الأسلوب .

بعد شرحه الأسباب التي استوجبت طلب الغضب الإلهي، يحذر حضرة بهاء الله
أتباعه في هذا اللوح من استعمال هذه التعبيرات كعذر لخلق الفتنة والفساد. وهو
ينصحهم بأن يجنحوا إلى الاتحاد والمحبة والعطف حيال سائر شعوب العالم، مصرحاً
بأن الجنود المنصورة في هذا الظهور هي الأعمال والأخلاق المرضية، وأن قائد هذه
الجنود تقوى الله .

عندما نتفحص كتابات حضرة بهاء الله وكتابات شخصيات أمر الله الرئيسة، نلاحظ بأن الجزء الأعظم منها يتألف من نصائح وأوامر تدعو لإحياء حياة تستند وتستنير بأنوار التعاليم الروحانية الإلهية. ففي معظم ألواحه، ينصح حضرة بهاء الله أتباعه بالخلق الطيب والأعمال الطاهرة والسلوك الحسن. ويحثهم على تبني روح الألفة والاتحاد بين أهل العالم وأن يصبحوا قدوة ومثلاً في اللطف والمودة لكل سكان الأرض.

موجهاً النصح لبديع الله، أحد أبنائه، أنزل حضرة بهاء الله المواعظ التالية من أجل حياة تتمثل فيها العبودية الحقة. ويمكن اعتبار النصائح الواردة في هذا اللوح أنموذجاً وخلاصة لتعاليم حضرة بهاء الله في مجال سلوك الفرد في هذه الحياة:

"كن في النعمة منفقاً وفي فقدها شاكراً وفي الحقوق أميناً وفي الوجه طلقاً وللفقراء كنزاً وللأغنياء ناصحاً وللمنادي مجيباً وفي الوعد وفياً وفي الأمور منصفاً وفي الجمع صامتاً وفي القضاء عادلاً وللإنسان خاضعاً وفي الظلمة سراجاً وللهموم فرجاً وللظمان بحراً وللمكروب ملجأً وللمظلوم ناصرًا وعضدًا وظهراً وفي الأعمال متقياً وللغريب وطناً وللمريض شفاءً وللمستجير حصناً وللضربير بصراً ولمن ضل صراطاً ولوجه الصدق جمالاً ولهيكل الأمانة طرازاً ولبيت الأخلاق عرشاً ولجسد العالم روحاً ولجنود العدل راية ولأفق الخير نوراً وللأرض الطيبة رذاذاً ولبحر العلم فلكاً

ولسما الكرم نجماً ولرأس الحكمة إكليلاً ولجبين الدهر بياضاً ولشجر الخضوع
ثمراً."

"كتاب ظهور حضرة بهاء الله، أديب طاهرزاده، المجلد ٣"